

## كيف نزيل التحيز المسبق في الصحافة ضد العرب

أميركي آخر في لبنان في ثمانينات القرن الماضي، عندما كان احتجاز الرهائن منتشرا، "من هم الدروز ومن يهتم بهم؟"

يقول بوب "واجهت مشكلات مماثلة في صحيفة 'فاينانشيال تايمز' البريطانية في مناسبات قليلة. وأثناء تقديم التقارير من المغرب في أواخر سبتمبر 1993، تلقيت بلاغا من أحد مستشاري العاهل المغربي الملك الحسن الثاني أندريه أزولاي، بأن إسحاق رابين وشمعون بيريز سيقومان بالمرور عبر المغرب في طريق عودتهما إلى إسرائيل، بعد توقيعهما اتفاقية أوسلو في واشنطن. وقد أخبرت على الفور محرر الشؤون الخارجية أندرو غاورن، الذي رفض تصديقي، ورفض نشر مقال كتبه عن دور المغرب الطويل كقناة سرية للمفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين".

فرانيسيس غيليس

باحث مساعد في مركز برشلونه للشؤون الدولية



غالبًا ما يساء فهم الحيل والمعضلات المتعلقة بتجارة الصحافة الجادة من قبل مستهلكي وسائل الإعلام، سواء كانت وسائلهم هي الصحف أو الإذاعة أو محطات التلفزيون، أو وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا الجمع الدقيق للحقائق والتحليل أدى إلى إفساح المجال للتعليق وطرح السؤال: كم عدد الخبراء الذين بالكاد يعرفون الدول التي يقدمون وجهة نظر مدروسة بشأنها؟ في خضم ذلك، يقع الشرق الأوسط بشكل خاص ضحية للعدسة الأيديولوجية، التي يتم من خلالها تصور العديد من الدول من إيران إلى تركيا والسعودية والجزائر. ثلاثة عقود من التغطية الصحافية لوكالات الأنباء والصحف البريطانية والأمريكية، جنبًا إلى جنب مع إتقان اللغة العربية والفارسية والتركية، زوّدت نائب مدير برنامج أوروبا وآسيا الوسطى في مجموعة الأزمات الدولية هيو بوب، بشكل أفضل من الكثيرين باليات فهم مدى خطورة هذه المنطقة وتعقيدها. وقد أوضح ذلك في كتابه "تناول الطعام مع القاعدة: التفكير في الشرق الأوسط"، الذي نشره لأول مرة في 2010.

تتحدث قصة بوب عن المستوى الأساسي من كتابة التقارير، والدفاتر المليئة بالرؤى المكتسبة في المعابر الحدودية الجنونية، ورجال الشرطة السوريين، والأعراف الجنسية غير المتوقعة. وعند عبور الحدود بين تركيا وسوريا، يصور الكاتب حشداً من المسافرين "وجوههم محبوسة في خضوع صريح لإله المعابر الحدودية"، ويفرر بتبني "أسلوب البقاء القومي، وهو موقف العقل من اللامبالاة الانتهازية". إن الوزن الهائل لملء الاستثمارات الطائش والتحكم الشرطي الدائم، هو إحدى السمات المميزة للشرق الأوسط. وفي فصله التمهيدي، يصف المؤلف صديقه والأكاديمي الفرنسي جان بيير نيك، الذي عرض أولاً على المؤلف الإقامة في شقته في الطابق العلوي من بيت دعاة في مدينة حلب السورية.

مكّن بيت الدعاة الشباب هيو بوب وصولاً لا مثيل له إلى مييزات الحياة السورية، التي لم يكن ليحصل عليها لو أنه أقام في فساد دولية. أدى انحراف نيك عن مساره الدراسي أثناء سفره، إلى ظهور الجهود الأكاديمية التي يبذلها المؤلف لدراسة سوريا وتحسين لغته العربية "التي تحسّنت بسرعة من خلال انخراطه في واقع الشرق الأوسط". وكان هذا واقعاً غالباً ما وجد المؤلف صعوبة في إيصاله إلى وسائل الإعلام التي عمل بها خلال أكثر من ثلاثين عاماً من التغطية، لاسيما في صحيفة "وول ستريت جورنال" الأمريكية. وكان الأمر صعباً عندما جاءت أفكاره المكتسبة بشق الأنفس ضد افتراضات الأسس والتحيزات المسبقة في لندن أو نيويورك.

الكثير من المرسلين الغربيين في المنطقة لا يتقنون اللغات المحلية. ضعف القدرة على التحدث بالعربية أو الفارسية أو التركية، يعني أن العديد من المرسلين يتعين عليهم الاعتماد على مترجمين في وزارة الإعلام. يكتب بوب عن محرر في صحيفة "السوس أنجلز تايمز"، حثه على عدم استخدام كلمة "كردية" إذا أراد نشر قصصه. وهذا يذكره بقصة مراسل

## أين تقف إريتريا في النزاع الحدودي بين السودان وإثيوبيا

موقف أسمره الملتبس يخلط أوراق أي تسوية سلمية تنهي التوتر



الحوار أفضل طريق لحل المشاكل

ويبدو الموقف السوداني أفضل نسبياً في هذه المسألة، بعد توقيع اتفاق سلام مع الحركات المسلحة التي كانت تلجأ إلى إثيوبيا أو إريتريا، ويتم توزيعها من حين إلى آخر ضد نظام الخرطوم، فقد جرى تقيؤض هذه الورقة، بينما لا يزال السودان يملك مقاطع مهمة من معارضي خصومه، تمنحه ميزة نسبية في حالة عودة الحرب بالوكالة.

وفي هذه الحالة بات السودان مطالباً بالحفاظ على اتفاق السلام مع الحركات المسلحة وتسريع وتيرة تطبيقه على الأرض قبل أن يتعرض للاهتزاز، بل والاتفاق مع الحركة الشعبية - قطاع الشمال، جناح عبدالعزيز الحلو الذي لم يوقع على اتفاق جوبا.

وقد يجد الحلو فرصة لفرض شروطه، لأنه يملك قوة عسكرية كبيرة في الجنوب، هي الأقرب لتلقي دعم من إثيوبيا إذا لم يتوصل إلى اتفاق حاسم مع السلطة في الخرطوم. وأصبحت إريتريا عنصراً مركزياً في التوتر الحالي، وانحيازها أو عدم انحيازها نحو إثيوبيا يحسم إلى حد كبير توجهات البلدين نحو التمادي في الحرب أو القبول بالسلام، فمن الصعوبة وقوفها على الحياد بسبب تشابكات إقليمية كبيرة لن تجعلها بعيدة عن المصير الذي سوف تتوصل إليه الخرطوم وأديس أبابا في الحالتين، لأن نظام الحكم في أسمره ربما يواجه مصيراً غامضاً في حالة غياب قائده لأي سبب، حيث تنهيا المعارضة لاقتناص ملامح ارتباك ظاهرة حول من يخلف الرئيس أفورقي.

قوى إسلامية متربصة

تكمن المشكلة الرئيسية في أن معارضي النظام الإريتري غالبيتهم من القوى الإسلامية، التي لها امتدادات نشطة في شرق السودان سببت صداماً أمنياً في هذه المنطقة، وتتحين الفرصة لتراخي قبضة الرئيس أفورقي أو انخراطه في قتال خارجي مكلف.

وهذه المعضلة هي نفسها التي تواجه السلطة الانتقالية في الخرطوم، حيث يخيم شبح الحركة الإسلامية وبصمات فلول البشير على بعض الخطوات التي تزجها داخلياً.

ويقود اتهامات الدول الثلاث في حرب على الحدود إلى منح القوى الإسلامية المتشددة في السودان وإريتريا فرصة لاستمرارها، ولن يكون مستبعداً أن تمثل هذه البؤرة نقطة جذب كبيرة للمعترضين في القرن الأفريقي، الذين حصوا مكاسب في الصومال في الأونة الأخيرة، في ظل ما يصلهم من دعم عسكري من قوى إقليمية مختلفة.

التحديات المشتركة في الإقليم أجواء مناسبة لتقريب المسافات وزيادة التعاون بينهما، فهل تنور إريتريا في توفير دعم لوجيستي لإثيوبيا التي تواجه أزمات معقدة في الداخل والخارج؟ للحصول على إجابة واضحة، من الضروري إدراك أن العلاقات بين الدول الثلاث متقلبة، يتوقف صعودها أو هبوطها على درجة المصالح المحققة بين أطراف هذا المثلث، الذي لم يصل في أي مرحلة سابقة إلى مستوى التماسك الجماعي، فعندما يتجذب طرف لآخر يبدو الثالث مستهدفاً من الطرفين الآخرين، ويمكن تدوير هذه المسألة للتثبت من أن جزءاً كبيراً فيها كان صائباً.

مواقف مفصلية

عندما دارت حرب بين إثيوبيا وإريتريا في نهاية تسعينات القرن الماضي، بدا السودان ورقة رابحة لكليهما، ففارة ينحاز إلى هذا الطرف ونارة إلى ذلك، وبعد انتهاء الحرب واستمرار القطيعة بين البلدين دخل السودان في موجة حادة من المعارك مع جنوب السودان حتى حصل الجنوب على استقلاله رسمياً عام 2011. ومع كل ذلك، لم تخدم تماماً المتاجرة بورقة المعارضة بين الدول الثلاث، وفي كل مرة يتوصل فيها طرفان إلى تفاهات محددة تظل هناك ذيول تصعب السيطرة عليها بحكم الحدود المتشابكة والتركيبة الاجتماعية المعقدة.

وتحاول إثيوبيا امتصاص غضبة السودان وعدم الدخول في حرب ممتدة، ويحاول الأخير الاحتفاظ بالخارطة، التي رسمها بعد استرداده لغالبية أراضيه التي وقعت تحت سيطرة إثيوبيا على مدار عقود، وتبقى الأزمة متفجرة لبعض الوقت، لأن المعادلة الصفرية الظاهرة لن تمكن أي جهود وساطة من التوصل إلى تسوية مرضية.

ومن هنا سيكون موقف إريتريا مفصلياً، فإذا اشتدت المعارك وقرر الرئيس أفورقي الانحياز صراحة إلى إثيوبيا سوف يواجه السودان موقفاً صعباً على امتداد الحدود الشرقية من الشمال إلى الجنوب يضطره إلى تفعيل ورقة المعارضة الإريترية القابعة في أراضيه، وعدم التردد في التعاون مع معارضي الحكومة الإثيوبية الفارين إليه.

فجرت الأزمة الحدودية الراهنة بين السودان وإثيوبيا العديد من التناقضات الكامنة بين دول الجوار، وخاصة إريتريا، بعد أن خدمت خلال السنوات القليلة الماضية التي توصلت فيها الدول الثلاث إلى تفاهات مشتركة لإعلاء قيم الأمن والاستقرار والمصالح، على التهديدات والصراعات والحروب، ووضع حد لمناوشات سابقة كان يقوم بها معارضو كل بلد لتحقيق مصالح بلد آخر عندما تشتد السخونة السياسية.

ووفر السودان في عهد الرئيس السابق عمر البشير ملاذات آمنة لمعارضي الرئيس الإريتري أسياق أفورقي، والعكس صحيح، وهو ما وضع العلاقة بينهما فوق تلال من الأزمات المتكررة.

كما تختبر أزمة الحدود مدى صمود التحالف الصاعد على وقع حرب تيغراي بين أديس أبابا وأسمره، فبعد فترة من شكوى كل طرف من برودة السلام بينهما، أعادت تيغراي الحرارة بينهما، ووقرت

إريتريا عنصر مهم في التوتر وموقفها من إثيوبيا يحسم إلى حد كبير توجهات البلدين نحو التمادي في الحرب أو القبول بالسلام

محمد أبو الفضل

كاتب مصري



القاهرة - لم تتحدث إريتريا رسمياً عن دورها في الأزمة بين السودان وإثيوبيا، وهو ما منح معلومات راجت حول إرسالها نحو الفي جندي إلى منطقة "الفشقة" الحدودية، أهمية بغرض مناصرة قوات إثيوبية قبل إنها تستعد للدخول في حرب طويلة مع الجيش السوداني، أو لمنع المزيد من تقدمه. وقام نائب رئيس مجلس السيادة السوداني الفريق أول محمد حمدان دقلو (حميدتي) بزيارة العاصمة الإثيوبية أسمره في الثامن من يناير الجاري، ضمن جولات بدأها مسؤولون في دول جوار السودان لتوضيح موقف الخرطوم من الأزمة مع أديس أبابا، شملت أيضاً القاهرة وانجينا وجوبا.

واحتلت زيارة الوفد السوداني لأسمره حيزاً كبيراً من الاهتمامات المراقبين، لأنها الدولة الجارة والملاصقة لكل من السودان وإثيوبيا، ولديها علاقات وثيقة مع الحكومة في أديس أبابا، وصلت إلى حد تقديم مساعدات عسكرية لها في حربها مع إقليم تيغراي، مما أسهم في حسم الموقف لصالح الحكومة المركزية سريعاً، وضاعف من الاحتقان بين فرعي تيغراي في كل من إريتريا وإثيوبيا.

وظفت أسمره مرة أخرى على السطح في الأزمة الحدودية، ليس فقط بسبب ما يتردد حول تكرار دعمها العسكري لإثيوبيا، لكن لأن قيادات في تيغراي لجأت إلى الأراضي السودانية ضمن حملة نزوح ولجوء نجمت عن اندلاع الحرب في الإقليم، ومعها قيادات إريترية كانت تتخذ من إقليم تيغراي مقراً لها.

مثلث غير متناغم

ينعكس التوتر الحاصل بين السودان وإثيوبيا على شكل علاقة الطرفين مع إريتريا، ويختبر مدى صمود التعاون والتسويق مع الأولى لكبح جماح المعارضة على الجانبين، حيث سادت في فترة طويلة الحرب بالوكالة.



الاستنتاج الذي توصل إليه هيو بوب في كتابه «تناول الطعام مع القاعدة: التفكير في الشرق الأوسط»، هو أن ما سرده لم يحدث فرقا كبيرا في الطريقة الفجة التي ينظر بها الغرب إلى منطقة مختلة ومتبلدة المشاعر ومتطفلة إلى حد كبير

التحيز المسبق الذي يمارسه المعادون للعرب، وفي هذه الحالة هم المعادون للمغرب، يتفق على الحقائق الصعبة، وكتاب بوب مليء بحلقات غير متوقعة، وأحياناً مثيرة للاهتمام في كردستان، التي يحب شعبها كثيراً، وأماكن مثل السعودية، فقد تمت دعوته على العشاء ذات ليلة في الرياض، وقال له مضيفه "الوهابيون يقولون: القاعدة ليست نحن. لكن بالنسبة لي، هذا هو الفرق بين مارلبورو ومارلبورو لايت".

ثم واجه بوب، مثل العديد من زملائه المرسلين، مشكلة كيفية فك العلاقة المعقدة بين القاعدة والأيديولوجيا الوهابية السعودية والإسلام. وكتب يقول "لقد أقتع الإسلاميون وأعداؤهم العديد من الأميركيين بأن الإسلام هو دين موحد. علاوة على ذلك، اعتقد العديد من الأميركيين أن الإسلام هو السبب الرئيسي لكارهية الشرق الأوسط بشكل عام، والسعودية على وجه الخصوص، للولايات المتحدة. ومن ناحية أخرى، كنت متأكدًا من أن العداء لأمريكا كان قائماً بشكل أكبر على التحيز غير العادي الذي دام عقوداً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة لدعم إسرائيل وكل ما تفعله".



زاويا مختلفة لقصص الواقع